المحاضرة التاسعة: الإخراج والتصور الذهني لبنية الخطاب

الإخراج:

تتمحور كل تركيبة، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب حول عنصر واحد خاص يكون هو نقطة الانطلاق، فالمتكلم يقدم ما يريد قوله من وجهة نظر معينة.[1]

وحتى نفهم هذا الأمر علينا أولا أن نفهم ما هي نقطة الانطلاق، يرى الباحثان بروان ويول أن نقطة الانطلاق تقع في موقع مركزي في سلسلة الكلام، حيث أن المتكلم حين يريد أن يتلفظ بالقول عليه أن يختار الموضوع الذي ينطلق منه أي نقطة البداية التي سيخرج منها ما يبطن، ولفهم ذلك أكثر نقدم المثال التالي:

أ-أنا لا أطيق رؤية ريم إنها طويلة، نحيفة، وتمشي مثل الحمامة.

ب-أنا فعلا معجب بريم، إنها طويلة القامة، رشيقة القوام، وتمشي مثل الحمامة.

فمن خلال المثالين (أ وب) نلاحظ أن نقطة الانطلاق جعلت المحمول يختلف كليا، والمتلقي يصله المعنى وفق هذه الانطلاقة، ففي المثال الأول انطلق المتكلم من خلال عدم إعجابه بمريم وهذا جعل المحمول خصائص لهذا الكره، في حين أن المثال الثاني يظهر إعجابه والأمر نفسه يجعل المحمول خصائص لهذا الإعجاب.

فإذا كان يراد لخصائص الطول والنحافة والمشية في المثال أ أن تكون أوصافا غير جميلة فإن هذه الخصائص نفسها تكتسي في المثال ب رشاقة وجمالا.[2]

---

[1] بروان، ويول، تحليل الخطاب، ص 156.

[2] بروان، ويول، تحليل الخطاب، ص 145.

-لقد تزوجت ثم حملت.

-لقد حملت ثم تزوجت.

إن نقطة الانطلاق في المثالين السابقين مختلفة، وإن بدا الإخبار واحد، ففي كلا المثالين تخبرنا المتكلمة بأنها متزوجة وحامل بطفل، غير أن نقطة الانطلاق تجعل المحمول يختلف من حيث التلقي، فحين يكون التلقي للجملة الأولى مقبولا ومستساغا وعملا شرعيا مقبولا ومطلوبا، فإنه في المثال الثاني يكون مرفوضا غير مقبول وغير شرعي.

التصور الذهني: هو ذلك التشكل لعمل الفكر البشري، من خلال إعادة بنا الإدراكات السابقة واللاحقة، قصد إقامة اتصال بين التصور والصور الذهنية،[3]

فالتصور الذهني من هنا يكون القدرة الذهنية في تصور الصورة قبل التلفظ بها من خلال تجسيدها بالكلام، وهذا الأمر ضروري جدا في ارتباطه بالإخراج فلا يمكن أبدا أن ينطق المتكلم دون أن يجسد ما يريد أن يخبرنا به داخل ذهنه وأن يصوره ويجسده فيه، فالارتباط قوي جدا بل لا يمكن أن ينفك.

الخطاب من التصور الذهني إلى الإخراج اللفظي:

إن كل خطاب لغوي ينطلق أساسا من عمل الذهن، ثم يكون ذلك في النطق مثله في الترتيب وقد قال في ذلك الجرجاني: ""إذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد المعاني إلى فكر تستأنفه

---

[3] صالح غيلوس، دور التصور الذهني في تشكيل المعنى، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج04، ع04، 2020، ص98.

لأن تّري بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن"[4]، فهذا التصور الذهني هو المنطلق الأول الذي ينبني عليه الخطاب في أول ميلاده، فالأسبقية ذهنية. وقد نبه الجرجاني من خلال هذه المقولة إلى الارتباط العجيب بين الإخراج والتصور الذهني من خلال وجوب التوافق بين التصور الذهني ونقطة الانطلاق، فالمتكلم لا يقدم ويؤخر في كلامه اعتباطا وإنما هو راجع إلى التصور الذهني فوجب أن يكون المعنى أولا في النفس وهذا التصور يتبعه بالترتيب الدقيق التلفظ والإخراج اللفظي.

ففي المثال التالي:

أقلت أنني فاسد؟

أأنت قلت أنني فاسد؟

بدأت بالفعل في الأولى لتصور في ذهنك أن القول مشكوك في وقوعه. وفي الثانية بدأت بالاسم لتصور في ذهنك أن الفعل واقع والشك في الفاعل.

ومنه قوله تعالى: "ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم"

الاستعارة والتصور الذهني:

تعد الاستعارة بعدها بينة خطابية أحد الأشكال التي تشتغل وفق المنظور الذهني، "وقد أدى التطور الحاصل في الدراسات اللسانية الحديثة بفضل ظهور علم النفس المعرفي إلى تَحَوُّل مفهوم الاستعارة من ظاهرة لغوية ترتبط بالخيال الشعري والصُّوَر البلاغية القائمة على أساليب التزويق والزخرفة إلى ظاهرة مُبَنْيَنَة على تصوراتنا الذهنية وآلية مؤطرة لعمليات تفكيرنا المعقدة."[5] إن الاستعارة تعد نموذجا جيدا للدراسة وفق هذا الاتجاه ونمثل لذلك بالنموذج التالي:

---

[4] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص68.

[5] استعارات وعبارات بين الاختزال اللغوي والتصور الذهني، https://middle-east-online.com/

يقول أبو الشيص:

سقاني بها والليل قد شاب رأسه غزال بحناء الزجاجة مختضب

يشبه الشاعر إلى النموذج الاستعاري الليل وهو الشيء المعنوي بالإنسان الذي شاب رأسه، فحذف المشبه به الإنسان، وترك قرينة دالة عليه وهو شيب الرأس، إن المتكلم قبل التلفظ بهذا الملفوظ يقوم بتصور هذه الصورة في ذهنه، وذلك حتى يعد خطابا مكتمل الأركان، وقد استخدم الاستعارة بعدها آلية ذهنية عرفنية تصورية، يحاول من خلالها أن يرسم لنا صورة هذا الليل كما هي في واقعة حقيقة.

فالاستعارة لم تعد ظاهرة لغوية لسانية ناتجة عن الحذف في أحد مواضع التشبيه أو الانزياح من الحرفي إلى المجازي بل أصبحت عملية إدراكية كامنة ومركوزة في الذهن تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا؛ أي إنها ذات طبيعة تصورية لا لسانية،[6] فلم يعد ينظر إليها بعدها زخرفا في القول وزينة فيه، وإنما بعدها آلية ذهنية تساعد في علمية الإدراك للعالم الخارجي.

وتعتمد الاستعارة في هذا الباب على مبدأ الاسقاط، أي اسقاط مجال مادي وآخر تجريدي، ويقول أبو العلاء المعري:

وسهام دهرك لا تزال مصيبة صرفت بإذن الله عن أخطائها

فانظر إلى مبدأ الاسقاط هاهنا فالشاعر يحاول أن يربط بين مادي ومعنوي من خلال دمج تصورين مختلفين من خلال اسقاط مجال السهام والذي هو مادي

[6] عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، المكتبة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2013، ص59.

ملموس، على مجال الدهر الذي هو مجال تجريدي، وهو ينتج الخطاب وفق هذا الاسقاط وتحمل الاستعارة التصور الذهني وتشتغل وفقه.

تطبيق: